Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أتبكـــى أن يضـــل لهـــا بعـــير ويمنعـــها مـــن النـــوم الســـهود
فـــلا تبكـــى علـــى بكـــر ولكـــن علـــى بـــدر تقـــاصرت الجـــدود
علـــى بـــدر ســـراة بنـــى هصيـــص ومخـــزوم ورهـــط أبـــى الوليـــد
وبكـــى أن بكيـــت علـــى عقيـــل وبكـــى حارثـــا أســـد الأســـود
وبكيـــــهم ولا تســـــمى جمعـــــا ومـــا لأبـــى حكيمـــة مـــن نديـــد
ألا قـــد ســـاد بـــعـــدهـــم رجـــال ولـــولا يـــوم بـــدر لم يســـودوا

فهذا شعر فى الرثاء إلا أنه خلو من الحزن بمفهومه الصحيح؛ إنه يذكر أسماء كثير من القتلى ولم يذكر أبا حكيمة ولده إلا عرضا وقال إنه منقطع الند وهذا كل ما رثاه به، إن مثل هذا الرثاء رثاء جماعى إن صح هذا التعبير، أى أن الشاعر لا يذكر فجيعته فى عزيز عليه كما هو الشأن إذا خص عزيزا عليه بالرثاء، ولذلك كان الكلام خبرا من الأخبار لا أثر فيه لعاطفة، ولا وصف فيه للنفس الملتاعة، وعنصر الحزن فيه جد ضعيف، وبذلك نجد الفارق البعيد بين خصائص هذا الرثاء وخصائصه التى أسلفنا ذكرها فى رثاء الترك وفى سمات الرثاء فى رأى بعض المحدثين من النقاد. ولعل مرد السبب فى هذا إلى أن القوم كانوا فى حروب متعاقبة لا يضطرم أوار إحداها حتى يعقبه أوار غيرها، ولذلك هان أمر القتلى على الشعراء أو كاد، ففترت أحزانهم، وكان حسبهم أن يشيروا إلى البكاء والدموع وذلك قصاراهم.

نذكر بعد دلك ثلاثة من شعراء المسلمين هم كعب بن مالك وحسان بن ثابت وعبد الله ابن رواحة، واختص هؤلاء بالذود عن الإسلام، والرد على أعدائه وإفحامهم بالقول الحق، وجمهرة أشعارهم من شعر النقائض. وكان كعب بن مالك يخوف المشركين الحرب، وحسان يعيرهم بأنسابهم، أما عبد الله بن رواحة ينعى عليهم كفرهم، وبذلك تقلبت أشعارهم فى عدة أغراض، وقيل عن كعب بن مالك صاحب أفخر بيت قالته العرب وهو:

وبـــئر بـــدر اذ يـــرد وجـــوههـــم جبريل – تحت لـــوائنـــا – ومحـــمد

وقد رد على ضرار بن الخطاب الذى قال ما مجمله، أنه يعزى قومه عما لحق بهم من هزيمة فى بدر، ويتحدث عن الخيل وهى تخوض فى عجاج المعركة ويصف الصرعى فى